ذاهباً إلى أن جهل هوية المرأة المختفية وراء هذين الاخيرين يشجع على الفسق.

البدايات

فترة ما بين الحربين كانت فترة حَبَل بأكثر من معنى بالنسبة للنسوية العربية الحديثة. كان النضال من أجل التعليم قد خطا خطوات بعيدة. منذ ١٩٢٨ كانت الجامعة المصرية قد فتحت أبوابها للبنات. وقد نتج عن ذلك امكانية حصول عدد اكبر من البنات على وظائف إدارية، ومع تطور التصنيع خلال الحرب العالمية الأولى وبعيدها ازداد وجودهن في القوى العاملة.

ولم تبقَ المساواة في الحقوق مجرد شعار. بدأت حقبة جديدة من النضال النسائي. في ١٩٢٠ فرضت العاملات المصريات اشتراع أول قانون لتحديد ساعات عمل النساء. نبوية موسى المصرية كانت واحدة من الرائدات الكثيرات اللوتي ناضلن لحقوق العاملات.

وهذه الحقبة عينها شهدت تكاثر الصحف النسائية، لا سيما في مصر ولبنان: *الفتاة* لهند نوفل (تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٩٢)، مجلة *السيدات والفتيات* لروزا انطون (١٩٠٣–)، *السفور* لمصطفى عبد الرازق (١٩١٥–)، *ترقية الفتاة* لنبوية موسى (١٩٢٣–) و*الأمل* لمنيرة ثابت (١٩٢٥–).

إلا أن القضيتين اللتين غلبتا في هذه الفترة كانتا قضية الحجاب والفصل بين الجنسين. أطلق الشاعر العراقي أحمد صدقي الزهاوي شعار «السفور أو الموت» في مقالة أساسية «آفات الحجاب» (١٩٠٨)، والتي قال فيها أن الفصل بين الرجال والنساء يشجع المثلية. بعد سنة، في مقالة اخرى، «دفاعاً عن النساء»، بيّن أن الحرية هبة يتقاسمها الرجال والنساء على السواء، وينتقد القول بتفوق الرجل بسبب قوته الجسدية. الحيوانات أقوى من الرجال، فهل يعني ذلك أنه ينبغي أن تكون لها حقوق تفوق حقوق الرجال؟ عارض الزهاوي تعدد الزوجات وطالب بان يكون للنساء حقوق الرجال في طلب الطلاق، داعماً رأيه بحجة بسيطة: ما دامت الشريعة تعطي النساء حق الموافقة على زواجهن، فكيف يمكن حرمانهن من حق فكه؟ ويذهب الزهاوي في نقده إلى أبعد من ذلك مشيراً الى عدم المساواة في وعود الاسلام بالجنة إذ يعد الرجال بأن يتمتعوا بما بين ٧٠٠ و ٧٠٠٠٠ حورية، فيما يعد النساء بازواجهن فقط. اثارت كتابات الزهاوي عن «مسألة المرأة» مظاهرات ضده في شوارع بغداد، ففصله الوالي العثماني من كرسي التعليم في كلية الحقوق.

تناول منصور فهمي (١٨٨٦–١٩٥٩) مشكلة الحجاب من منظور مختلف تماماً. في أطروحته للدكتوراه بعنوان «حالة المرأة في التقاليد الاسلامية وتطورها»(باريس ١٩١٣) يقدم براهين فلسفية وتاريخية عديدة ليثبت ان الحجاب الذي يخفي وجه المرأة لم يوجد لا في الجاهلية ولا أيام النبي محمد. بين البراهين التي يستشهد بها فهمي أن المراد بالحجاب في الآية ٥٢ من سورة الاحزاب هو قطعة قماش داخل الخيمة، والمراد بالجلباب في الآية ٥٩ من سورة الاحزاب أيضاً هو شال للجسم. تعرض فهمي لهجوم عنيف في وطنه مصر، فاضطرّ الى التخلي عن نظريته. ولم تترجم أطروحته الى العربية حتى اليوم.

زينب فواز العاملية (١٨٦٠–١٩١٤) كاتبة لبنانية ألفت كتاباً في سير ٤٥٥ امرأة عربية لعبن دوراً هاماً في مجتمعاتهن (١٨٩٣). ولعلها أول مسلمة انتقدت الحجاب. دعت الى العزوبة كوسيلة لمناهضة تعدد الزوجات. قبل «الجنس الثاني» لسيمون دي بوفوار بفترة طويلة حمّلت فواز النساء مسؤولية وضعهن الدوني، وأنحت عليهن باللائمة لانهن «ينظرن إلى أنسفهن وحيواتهن من وجهة نظر الرجال ومن خلال آراء الرجال... حتى أنهن لا يتعرفن الى أنفسهن إلا من خلالهم.»

نظيرة زين الدين (١٩٠٨–١٩٧٥) كانت من أوائل النساء اللبنانيات اللواتي سفرن. نادت بمساواة تامة بين الرجال والنساء، ودافعت عن حق النساء بالانتخاب والاشتراك في الحكومة، كما طالبت بالاجتهاد في الدين. تقول في كتابها السفور والحجاب (١٩٢٨): ليست قطعة القماش هي التي تكفل عفاف المرأة. ظهر كتابها في فترة احتدام النقاش في سوريا بين الحجابيين والسفوريين فصبّ الزيت على النار. هبت مجموعة كاملة من الرائدات للدفاع عنها: ملك حفني ناصف، نازك العابد، هدى شعراوي، لور ثابت، جوليا طعمة دمشقية، ماري عجمي، مي زيادة، ابتهاج قدورة، مريانا مراش، لبيبة الهاشم، سلمى صايغ، حبوبة حداد، هند نوفل وغيرهن. كذلك دافع عن نظيرة عدد من الرجال: الشيوخ علي عبد الرازق، طاهر النفساني، وأبو يوسف عبد القدوس، بالاضافة الى علمانيين أمثال المؤرخ محمد كرد علي واليسوعي البلجيكي الاب هانري لامانس ومحمد جميل بيهم، الشاعر خليل مطران والكاتب أمين الريحاني، الفيلسوف فيليكس فارس وغيرهم.

وظهرت في هذه الحقبة أيضاً نساء مميزات بما لهن من حق خاص. كان للأديبة مي زيادة صالون أدبي شهير ما بين ١٩١٥ و ١٩١٦. وأحبت حباً يائساً الكاتب الشهير عباس محمود العقاد، أنهى قصة الحب هذه موقف العقاد الرجعي من قضية النساء. حين عادت هذه المرأة الثائرة الغريبة الاطوار الى وطنها لبنان اتهمها ظلماً بالجنون أقارب أرادوا الاستيلاء على ملكها، فأدخلوها مستشفى للمجانين. حين أفرج عنها بعد عدد من السنين توفيت وحيدة في مصر. كان ملاذها الوحيد الرسائل

الكثيرة التي تبادلتها مع الاديب جبران خليل جبران، صاحب النبي، وحبهما الافلاطوني.

كانت هدى شعراوي من أولى النساء اللواتي سفرن في مصر، إلا ان أهم ما يذكر عنها هو عملها في تنظيم النساء. في ١٩٢٣ أسست أول منظمة نسائية في مصر، الاتحاد النسائي المصري الذي دافع عن حقوق العربيات والمسلمات في المؤتمرات العالمية. وفي ١٩٤٠ أسست هدى شعراوي أول منظمة نسائية عربية.

النسوية العربية بعد الحرب العالمية الثانية

نشأ خلال هذه الفترة جدل غريب بين حركات تحرير المرأة وحركات التحرير الوطني. نساء كثيرات كنّ قد اشتركن من فترة طويلة في النضال لنيل الاستقلال . في ١٩١٩ سفرت النساء في مصر فيما انضممن الى جماهير المتظاهرين ضد سلطات الاستعمار. في ١٩٣٠ ناشدت نساء يافا في فلسطين المؤتمر الاسلامي العام يطالبن بحق محاربة الصهيونية والامبريالية إلى جانب الرجال. بعد أن نالت البلاد استقلالها سفرت نساء كثيرات لان المستعمر قد خرج «وأصبحنا فيما بيننا.» ولكن لم يكن من السهل تسخيرالتحرّر الوطني لخدمة تحرير المرأة؛ بعد الاستقلال أعطيت الاولوية «لأهداف وطنية» على حساب النساء. طُلب منهن العودة الى بيوتهن وتربية أولادهن، كما بيّن قول شائع في الجزائر. ولكن، على الرغم من ذلك، كان لأنظمة ما بعد الاستقلال فضل في الكثير مما نالته النساء.

التغييرات والإصلاحات

تحقق تطور كبير في تعليم النساء بفضل السياسات التي فرضت التعليم الالزامي للجميع. وفي الوقت نفسه فُرضت قيود صارمة على أهم أشكال التمييز ضد المرأة. منذ ١٩٢٥ كانت مصر قد منعت تعدد الزوجات والزواج بالإكراه والخلع. وفي ١٩٥٦ حرّمت ختان البنات. كذلك تناولت إصلاحات واسعة الاحوال الشخصية الخاصة بالنساء. في الجزائر سنة ١٩٦٣عيّن الحد الأدنى لسن زواج البنات بـ١٦ سنة و١٨ للفتيان. وتبنى العراق القانون الشيعي الجعفري الذي يساوي بين الرجال والنساء في الإرث. وفي بلاد اخرى حاولت المحاكم إقناع الرجال بعدم اتخاذ زوجة ثانية، وكثيراً ما حصلت نساء مطلقات على حق حضانة اولادهن.
تبنى اليمن الديموقراطي وتونس قوانين أسرية علمانية تقدمية. سنة ١٩٧٣ ألغي في اليمن القانون الأسري الذي يفرض مهراً باهظاً، وحرّم تعدد الزوجات ومنح المرأة حق الرجل في الطلاق.

في لبنان أولاً، سنة ١٩٥٢، ثم في مصر سنة ١٩٥٦، منحت النساء حداً أدنى من الحقوق السياسية، كحق الانتخاب والترشيح.

النسويات الجديدات

إن الانجازات المحدودة لفترة ما بعد الاستقلال، وخيبة النساء بحركات االتحرير العربية فيما يتعلق بحقوق النساء لا سيما بعد حرب ١٩٦٧ مع اسرائيل، أدّت الى ظهور نوع جديد من النسويات. مقاربات جديدة تتناول الآن كل مظاهر «مسألة المرأة»، مبنية على البحث (في الطب، علم النفس، القانون، علم الاجتماع، التاريخ والانثروبولوجيا ...)، وتشمل موضوعات كختان البنات والدعارة والعنف الجنسي ومشكلات العيب، الشرف وقلة الشرف ، العلاقات الجنسية قبل الزواج، وسائل منع الحمل، الزواج، الطلاق، مشكلات النساء في العمل، التمييز ضد النساء في القانون، العمل المنزلي، الخ.

بشكل ما، أعادت هؤلاء النسويات الجديدات إحياء الاشكالية التي أثارها الشدياق حول كبت جنسانية النساء كأساس لتحكم الرجال بهن. مثلا، نوال السعداوي، الطبيبة المصرية والنسوية والناشطة السياسية، تعيّن «مسألة المرأة» في ما تسميها البنية الطبقية الذكورية. مع أنها تقرن تحرير المرأة بحركة التحرير الوطني والاجتماعي الأوسع، إلا أنها لا تؤمن بان انتصار هذه شرط كاف لنيل النساء حقوقاً متساوية ووضعاً مساوياً لوضع الرجل. ولذلك تناشد النساء ليشكلن قوة سياسية نافذة وليفرضن حقوقهن بأنفسهن. في كتاباتها الاولى ميّزت السعداوي بين أولويات النسوية الغربية وأولويات النسوية العربية، ولكنها تحوّلت بعد ذلك الى موقف نسوي مغربن راديكالي يحرّض النساء على الرجال.

فاطمة مرنيسي، عالمة الاجتماع المغربية والمؤلفة الشهيرة[1] أنّثت الرأي القائل بأن التلاعب بالماضي وسيلة للتحكم السياسي، وطبقته على تحكم الرجال بالنساء. أنها تطالعنا بقراءة نسوية لإسلام النبي محمد تبيّن فيها صراعاً بين رسالة الله الجديدة الداعية الى المساواة بين جميع المؤمنين (بما في ذلك المساواة بين الرجال والنساء) وبين القيم القديمة، قيم مجتمع قبلي قائم على الخطف والغزو والعبودية. وفي الوقت نفسه تبيّن ان الخوف من العالم الحديث هو اساس السلطة الذكورية في العالم العربي/المسلم، وتقرن تحرير النساء بإشكالية الديموقراطية في مقابل السلطوية.

أدب الحرية

الى جانب النسويات في علوم الطب والاجتماع ظهرجيل جديد من الكاتبات النسويات العربيات. نذكر على سبيل المثال لا